

وكان فيها أربعة آلاف جبل حاملة من البن والبهار والقماش . وتقدمي احمد باشا مرة في دار السيد احمد المحروقي وجلس عنده نحو ساعتين ثم ركب وصعد الى القلعة فارسل المحروقي خلفه هدية فيها بقع قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهره وشهدانات فضة وذهب وتماثيل وخيول له ونكبار اتباعه .

ويظهر مما كان يذكر عرضاً عن الضائع المنهوبة والمسالمة ان التجارة كانت متصلة مع الصين والهند والصين والبلاد الاوربية على قلة الامن وصعوبة المواصلات وكذلك الصناعة لم تكن معدومة ولا سيما صناعة البناء والنقش كما يظهر من وصف بيت الالني الذي حرق لما كان فيه خسرو باشا فقد قيل انه كان في كواه الواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم اي نحو خمسة عشر جنيهاً وكان مفروشاً كله بالبط الرومية والفرش الفاخر وفيه الستائر والموائد المزركشة وطاولات المرانب كلها مقصبات هذا وسياً في الكلام على ما اجراه محمد علي في هذا القطر مدة ولايته

هل يسود السلام

لم تمر بالانسان حقبة من التاريخ الا سمعنا له بسعي في ابطال الحرب وتعزيز السلم لم يكن يطول بسعيه المطال حتى كان يورد منه بصفقة الخاسر إما لأن الحرب سنة طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لانه لم يأن الاوان لتأييد ملك السلام . وآخر ما اتاه الانسان من تلك المساعي واعظمه سعي قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام ويوجب على الدول المشتركة فيه ابطال المعدات الحربية وفصل كل خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم . فعقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضفة سيف الافواه حتى سمي بعضهم السلام الذي نوره بالسلام المسلح استهزاء . وكأنه قد ندر لابن آدم الشقاء والبلاد فلنكي لا يجرأ فيما بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها فيصر الروس نفسه الى غمارها فلي مكرهاً او مختاراً وحكم الحسام بدل الكلام فكان من امره مع اليابان ما كان

وليس يخاف انه ان كان ابطال الحروب بسوراً فالزمان الحاضر ليس زمان البحث في ذلك اذ روسيا واليابان في حرب عوان والدول الاخرى واقفة بالمرصاد لها لتعلم العظمت والمعبر من حربهما . ولكن "وفي الساعة الظلماء ينقذ البدر" فان البحث دائر الآن على عقد

الصلح بينهما وكفى اذى الحرب عنهما بعد ان غالبهما اغراها . هذا يوجد خاص . ويوجد عام قام اکتاب من كل حزب وصوب يمشون الكرة ويحثون في ما اذا كان تأييد السلام امراً ممكناً وفي مقدستهم مجلة انكليزية اسمها "مجلة لندن" فانها ارسلت السؤال الآتي الى جماعة من الساسة والعلماء الذين يعرفون على آرائهم في معضلات الامور وطلبت منهم الجواب عليه وهو "هل يمكن ان تبطل الحرب ويسود السلام او ان ذلك حل في الشام لا يمكن تحقيقه" ثم اوردت الاجوبة التي جاءت من الافعال والاقوال فقالت

جلالة الملك

لا يجهد احد ان جلالة الملك لا يخط سطرًا ولا يفوه بكلمة فيما يتعلق بالمسائل العمومية . ولكنه لم يكذب ينسب العرش حتى اشتهر بين القاضي والداني ميله الى السلام وسعيه في اثرو فلقب بملك السلام . وانه وان كان يعلم ان الحرب ضرورة يستلزمها التقدم الحديث مهما جرت من الويل والدمار الا انه يعلم ايضا ان منعها ممكن في بعض الاحوال وخير سبيل الى ذلك تقرب الامم بعضها من بعض وربطها بربط الاخاء والوداد كما ترمي اليه سياسته الآن

رئيس الولايات المتحدة

ما يصح على الملك يصح على رئيس الولايات المتحدة ايضا . وقد باح برأيه منذ عدة اشهر في رسالته التي بعث بها الى مجلس الامة حيث قال "يجب ان يكون غرض هذه الامة الذي لا يحول وغرض سائر الامم المتقدمة ايضا تقرب اليوم الذي يسود فيه العالم كله سلام العدل على ان من السلام ضروريا لا تستحب ولا يرغب عاقل فيها . فقد قام في العالم نفر من الظالم الفاشمين حولوا جنائهم الناضرة مفاوز قاحلة وسموا عملهم سلاما ومفاوزهم ارض السلام . وكثيرون من الذين عرفوا بفتور الهمة والجبن وقصر النظر وابطروهم اليسر والرفاه وضرب الجهل عليهم قبابة اجمحو اجمام الاندال عن القيام بما يجب عليهم لما فيه من انكار النفس وحاولوا متر قصورهم وتقصيرهم وغاياتهم الدنيئة عن عيونهم ومحو آثارها من صدورهم فسما ذلك حب السلام . فمن الواجب علينا تجنب السلام الذي يجلبه ظلم الظالم وضعف الضعيف كما تجنب الحرب الجائرة اما الغاية التي يجب ان ترمي امتنا اليها وسائر الامم معها فهي بلوغ السلام العادل ذلك السلام الذي تأمن كل امة في ظلده على حقوقها وتعترف بما يجب عليها للغير وتعمل به . والغالب ان يكون السلام دليل الانصاف ولكن اذا تنازرا او اختلفا فان الولا يقضي علينا بالانحياز الى جانب الانصاف اولاً . والحروب الجائرة كثيرة والسلام الجائر قليل نادر ولكن الاثنين مكرهة فلنجسهما"

الورد أتيري (السر جون لوك) العالم الإنكليزي الشهير كتب يقول "إن أملي بزيادة السلام العام ضعيف جداً. فإنتنا نحن انفضنا شر قدوة للغير بزيادة ثقافتنا البحرية والبرية زيادة بالغة"

السر هنري فولر

وهو أحد أعضاء مجلس النواب الإنكليزي ومن الذين تولوا مناصب سامية في الحكومة. وقد كتب يقول :

"إن تقرير السلام العام يحل أسباب النزاع والخصام بين الأمم بالتحكيم دون الحرب امر صعب المشال جداً. واعتقد أنه لا بد أن يجي يوم تنفض الأمم في ما بينها من الخلاف بالوسائل السلمية ولكن ما من احد يستطيع ان يعين ذلك اليوم السعيد. على ان اخطى التي خطتها استنا وغيرها من الأمم في سبيل التحكيم تبشر بالخير وتدل على جهة اتجاه الرأي العام"

السر فرديك بولوك

من كبار رجال القضاء سابقاً. وقد كتب جواباً اشار فيه الى مقالة كان قد كتبها في هذا الموضوع وقال ان ما قاله فيها يقوله الآن أيضاً. وهاك بعض ما جاء فيها : —
"يظن الناس عموماً ان ما يقع من الخلاف بين الحكومات مشابه لدعوى الافراد وبالتالي انه يمكن فض ذلك الخلاف في محاكم القضاء ولكن الامر ليس كذلك. فان الاختلافات الدولية المتعلقة بالحدود وحقوق الملكية تشبه الاختلافات التي تقع بين الافراد من هذا القبيل فحلها بتعيين حكم او مجلس تحكيم يقبل الفريقان المتنازعان حكماً كما جرى في كثير من مسائل الحدود تماماً لو وقع النزاع عليه في المصور السالفة لتقاضى المتنازعون فيه الى السيف

ولكن هناك اسباباً اخرى للنزاع والخلاف تنشأ عن الاختلاف في تفسير بنود المعاهدات الدولية والاقوال الرسمية كما لو ادعت دولة بحاربية على دولة محايدة بخرق حرمة الحياد. فدعوى مثل هذه لا تحل في محاكم القضاء العادية بل بالمفاوضات السياسية ومعظم الخطر في تنازع الدول السلطة والسيادة في بقعة من بقاع المعمور. والسبيل الوحيد الى تدارك هذا الخطر اتفاق عدة دول على حفظ السلم واتحادها معاً بحيث يتألف من ذلك الاتحاد قوة اعظم من القوة المقابلة. فهذا الاتفاق او الخوف منه منع كثيراً من الحروب الصغيرة ونكته فلما نضع في حرب مع دولة قوية نستخف بتعرض الغير لها او تستطيع استمالة هذه الدولة او تلك حفظاً لتوازن القوات

ويقال على وجه عام ان الدول العظمى مطالبة بحل المسائل المتعلقة بكرامة امها ومصالحها الجهورية . والاعتبارات المادية والادبية التي تحمل الدول على لزوم الحذر والتدبر بالفطنة في حل المشاكل الدولية زادت زيادة تذكر في السنين الاخيرة . فلما دية اشهر من ان تذكر والادبية لا يمكن التعبير عنها بشكل محدود ولكنها عاملة وتأثيرها محسوس . اما معاهدات التحكيم فاذا بنيت الناية في ابرامها حتى تقتصر على الدعاوي التي يمكن التحكيم فيها دون غيرها فانها تتحى كل مدح لما فيها من الفائدة ولكنها ليست علاجاً ناجحاً في كل حال

السرخلبرت باركر

من مشاهير كتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب قال في جوابه " لا يسعني التعلل بالآمال الكثيرة من حيث سيادة السلام والدلائل تنذر بحرب عامة ومصيبة طامة . وما دام في الارض امم محمية وامم اقتبست بعض التمدن وامم ذات تمدن كاذب فلا يمكن الوصول الى اتفاق تام على حل المنازعات التي تقع بينها . فلتتكلم على الله ولكن ليق بارودنا جافاً " (اي ليق على حذر)

مستر مكناورا

من مشاهير الكتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب اينسا . قال " لا أرى ثمة مانعاً يمنع من حل المنازعات الدولية بالتحكيم بدلاً من القوة مع ازدياد العلوم وانتشار المعارف . فقد كان الافراد قديماً يتحاكمون الى اللاح في حل الخصومات والآن قلما يفعلون ذلك حتى ان المارزة باتت تظاهراً لا ضرر منه فيمد البارز اليها واحدى عينيه على جده والاخرى على قلم مخبر الجريدة (اي الغاية منها الشهرة لا غير) ومثل ذلك شان العائلات والقبائل فان ما بينهم من الخلاف يسوى الآن بالوساطة السلمية . والى مثله سوف يصير شأن الامم الكبيرة في يوم من الايام . وان اتحاد الامم الانكليزية في العالم كله يجعل مجيء ذلك اليوم

السرتوماس باركلي

من كبار رجال القانون في انكلترا . وقد كتب يقول " لست أرى ان دوام السلام امر ميسور لان من الحروب ما هو تنازع على البقاء كالحروب الاستعمارية التي تنشأ عن ازدحام السكان في بلاد والتجماعهم بلاداً اخرى . ومنها حروب الاستقلال التي يفضي اليها ظلم الظالم وحكم الغاشم . ومنها الحروب المدنية وهي افضل مما يدعو اليها مما اشتدت اهوالها وكثرت فظائعها . على ان لا يستحيل ان تصير الحكومات الجمهورية

أقرب إلى العقل وأبعد عن الجهل وأقل اندفاعاً مع تيار العواطف وأكثر اختياراً في الموازنة بين خطر الحرب وفوائدها وبين الشرور والنصائب التي أشهر الحرب لمعالجتها وإزالتها هذا وإن اميال الناس الذين يتولون شؤون انفسهم متجهة الآن الى مقاومة كل ماس شأنه ان يجرهم الى المشاكل الدولية والى تقليل سلطة حكوماتهم على تقرير السلم او الحرب وترام ينظرون بعين التفور والاشمزاز الى كل من يثير بتحكيم السيف ولو تليحاً . واقول في الختام ان كل انكليزي او فرنسوي او اميركي او مالئي يذكر الحرب مستغنياً بها مستهيناً بامرها لا يمد رجل يركن اليه ويعتمد عليه في شؤون الدولة الخطيرة

مسترونفس أيزاك

احد اعضاء مجلس النواب ومن كبار تجار لندن قال :-

” غاية ما نشأه ان نوصل الامم الى حل المشاكل التي تقع بينها بالتحكيم فنجنب الحرب بذلك . ولكننا بيدون عن هذه الامنية الآن . ومع ذلك فاعتقادي ان الناس سوف يصحون اقل ميلاً الى الحرب وأكثر رغبة في التحكيم لقطع اسباب النزاع . فان هناك مسائل كثيرة يمكن حلها بالتحكيم اما مسائل النزاع على السيادة والنفوذ بين امتين فلا أرى كيف تحل به . ويكاد يستحيل تأليف مجلس يرضى به المتنازعان لحسم ما بينهما من النزاع واذا أتت فباية الطرق ينفذ حكمه . فان قوانيننا واحكام محاكمنا تنفذ بلا مقاومة لان قوات الدولة كلها تستخدم لتنفيذها اذا اضطرت الحال الى ذلك . ولكن كيف ينفذ حكم هذا المجلس في مصلحة احدى الامتين المتخاصمتين اذا رامت الامة الاخرى مقاومة تنفيذ ”

السروليم رسي

احد كبار العلماء الطبيعيين عند الانكليز . قال

” اي شيء اقول ولم يقل الف مرة . كلنا ننتهي ان نبطل الحرب وذلك بتأني لنا من احدى طرفين . فإما ان امة من الامم تحرق معاهدة جنيفاً وتستخدم في حروبها كرات محشوة بالحامض الهيدروسيلنيك (غاز سام جداً) او مادة اخرى تميم الجيوش خنقاً . وهذا يحدث اذا ضاقت بها الحيل ووصلت الى الحد الاخير في استئصالها فتدعو الحال حينئذ الى معاربتها بمثل ما تحارب به . واما ان انتشار اسباب الحضارة والتقدم يؤدي الى تأليف مجلس دولي لحل المشاكل الدولية وسباع الشكاوي المتعلقة بالرسوم الباهظة التي تفرضها دولة على واردات دولة اخرى وما شبه ذلك . ولا ريب ان كلاً منا يتخى ذلك ولكنني اظن ان الطريقة الاولى تجرب اولاً ”

السرادورد رسل

صاحب جريدة "لغريبول دابلي بوست" قال

"من الامور المباشرة باخثير المنذرة بحسن المصير رغبة الدول الاوروبية تدريجياً عن محاربة بعضها بعضاً. ولكن الميل الى الحرب خلق مستحكما في النفوس والاغراء يخوض غارها كثير في اطراف الارض النائية. ومع ان احوالها تزيد كل يوم رغاً عما أدخل من التحسين والاصلاح في تموين الجنود ومعالجة جرحاهم ترى الناس يقدمون عليها وهم لا يحسبون لها حساباً. ولكنني اؤمل - وان يكن تحقيقه المي بعيداً - ان سوف يأتي يوم في الخمسين سنة القادمة تبطل الحرب فيه باجماع الامم المتحدنة على ابطالها لانه ثبت لم انها ضرب من الحق والجنون"

مسيو جوريس

من اشهر اعضاء مجلس النواب الفرنسي وزعيم حزب الاثراكيين فيه. خطب ذات يوم فقال

"بين المسائل الدولية مسائل شتى كانت تظهر خيالية فجعلت تلبس ثوب الحقيقة وتنفذ شكلاً محدوداً وقد اصبح الحقيقي ممكناً في اوربا" الى ان قال

"وفي اوربا محالنتان كبيرتان ترميان الى السلام. وقد كان السلام العام مقصد الثورة الفرنسية وهي لم تكن ترغب في الحرب بل كانت تكرهها وتمقتها وانما اقدمت عليها مكرهة بسبب ضعفها"

(١)

التهديب

ايها الشبان الكرام

لما دعوتوني الى خطاب بلي اليكم في محفل من محافلكم ترددت في اول الامر لكبر سني وملاي وعجزتي ولكن لما نظرت الى غاية جمعيتكم المحمودة رايت فيها ما ينهض الى اجابة طلبكم ولوسامني ذلك شيئاً من التعب والاجهاد. ثم اخذت ابحت في موضوع يوافق غرضكم ويبرجى منه بعض الفائدة لكم ولا مثالكم الذين شأنكم وشأنهم واحد في السن وطلب العلم فلم ار شيئاً افضل وانسب من اللقب الذي لقبتم جمعيتكم به وهو تهذيب الشبيبة السورية. غير انكم قد اضعتم الى ما تطلبونه لانفسكم من ذلك غوثاً لبعض اخوانكم الطلبة واظهرتم ما فيكم من ايثار الغير فوجب لكم الشناه والعون والدعاة بالفلاح. وكيف كان فان فاعل الخير يلقى الجزاء

(١) خطبة للدكتور يوحنا وربات عضو المجمع الطبي المراجعي في ادنبرج وشيخ علم الامراض انوافة في لندن والاكادمية العلمية في نيويورك تليت في محفل لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت في ٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٥